فن الحرب

للمفكر الصيني العظيم: سون تسي

ترجمة: ربيع مفتاح



الطبعة الثانية

مراجعة وتقديم: وانغ قوي فا

مقدمة: لواء د. أركان حرب إبراهيم شكيب



فن الحرب

الكتاب: فن الحرب

تأليف : سون تسي

ترجمة: ربيع مفتاح

النــوع: ترجمة

مراجعة وتقديم : وانغ قوي فا – المستشار الثقافي الصيني بالقاهرة

مقدمة الطبعة الثانية : لواء أ.ح. دكتور/ إبراهيم شكيب

الغلاف للفنان : محمود الهندي

الطبعة الثانية: القاهرة – ٢٠٠٨

الناشر: دار فكـرة للنشـر والتوزيع

تليفون: ١٣ ٥٢٠ ٢٧٩ (٢٠٢)+ ، ٠١٢٩٩٩٥٠٨١ (٢+)

العنوان: ١٧ شارع مجلس الشعب – لاظوغلى – القاهرة

البريد الإلكترونى: info@darfikra.com

darfikra@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.darfikra.com

المدير العام: رأفــت أبــو عيســى

رقم الإيداع: ٧٩٦١ / ٢٠٠٨



فــن الحــــرب

تأليف

سـون تسـي

ترجمة

ربيـــع مفتـــاح

تقديم

يعتبر "فن الحرب لسون تسي" من أقدم وأشهر الكتب الحربية فى الصين. وهو أقدم كتاب حربى فى العالم أيضًا، إذ يتمتع الكتاب بمكانة بارزة فى تاريخ البحوث الأكاديمية الحربية فى العالم.

يعتبر "فن الحب لسون تسي" جزءًا هامًا من الثقافة والتقاليد الصينية الممتازة؛ إذ أن مضمونه دقيق وعميق وواسع جدًا. وقد أحدث تأثيرًا بعيد المدى فى تطور العلم الحربى القديم بالصين، ويعتبر مرجعًا أساسيًا وحضاريًا عند الصين.

ولا تزال الكثير من حقائق الكتاب بنفس أهميتها السابقة، فهى مفيدة فى بناء وتطوير النظريات الحربية الحديثة، واستخدام مبادئه وأفكاره فى الحياة الاجتماعية وفى عالم الأعمال؛ فهى تطبق على نطاق واسع فى إدارة المؤسسات والتنافس التجارى والمباريات الرياضية والأنشطة الأخرى.

"سون تسي" اسمه "سون وو" ولقبه "تشانغ تشينغ" ولد فى "لون ان" (محافظة هوي مين بمقاطعة شاندونغ بالصين اليوم)، من مملكة "تشي" فى عصر الربيع والخريف أى عصر الممالك المتحاربة (٥٥١ – ٤٧٩ ق.م.). وكان يعمل آنذاك فى خدمة المملكة. بعد تأليف الكتاب ذاع صيته فى الناس، وتجاوز استخدام مبادئ الكتاب النطاق الحربي وقتئذ؛ إذ استخدمت فى مجالات السياسة والطب والتجارة وغيرها.

يعتبر 'فن الحرب لسون تسي' ثروة عالمية، فقد ترجم إلى اللغات اليابانية والإنجليزية والروسية والفرنسية والألمانية والإيطالية والتشيكية ولغات كثيرة أخرى. ترجم الكتاب إلى اليابانية فى القرن الثامن الميلادى، وتمت طباعته فى فرنسا عام ١٩٧٢، وترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٠٥، وطبع فى برلين باللغة الألمانية عام ١٩١٠.

وقد أعرب السيد الدكتور / ممدوح البلتاجى وزير السياحة بجمهورية مصر العربية ورئيس هيئة الاستعلامات سابقًا، عن أهمية ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية ونشره فى أسرع وقت ممكن عندما قابله وقد الصحافة والنشر الصينى الزائر لمصر برئاسة السيد (سون مو وين) رئيس هيئة الصحافة والنشر السابق. كما كلفنى أن أتولى هذه المهمة الصعبة، وتعهدت بذلك بكل سرور، ولكن نظرًا لانشغالى الشديد بعملى، ولأن نص الكتاب المكتوب باللغة الصينية القديمة صعب الفهم جدًا، تجنبًا لحدوث أى خطأ وصعوبة فهم الترجمة كلفت السيد الأستاذ/ ربيع مفتاح – وهو صديقي وعاشق للأدب الصيني – بترجمة الكتاب من الإنجليزية إلى العربية، وقمت بالمراجعة والتدقيق.

إن نشر 'فن الحرب لسون تسي' باللغة العربية فى القاهرة يعتبر حدثًا مهمًا فى أوساط النشر والصحافة الصينية والمصرية. إننا نعتبر هذا الكتاب كنزًا ثقافيًا نهديه للباحثين والعلماء والقراء العرب أجمعين.

أخيرًا، أعبر عن شكرى القلبى للسيد / ربيع مفتاح، فإن روحه المتمثلة فى المثابرة والكفاح والعطاء ستكتب صفحة رائعة فى تاريخ التبادل الثقافى الصيني والمصرى والعربي.

كما أعبر مرة أخـرى عـن شـكرى واحترامـى وتقـديرى العميـق للسيد الدكتور/ ممدوح البلتاجى وزير السياحة المصري على بعد نظره.

وأتمنى للجميع النجاح والتوفيق.

وانغ قوي فا

المستشار الثقافى الصيني

القاهرة

مقدمة الطبعة الثانية

الحرب صراع مسلح بين طرفين متنازعين، تقف خلفه أسباب متباينة، وهي تجري على نمط ثابت ثبوت القتال ذاته، وفي نطاق مبادئ وقواعد معروفة لم تتغير منذ عهود البشرية الأولى، فلا أحداً قال يوماً بأنه لابد من أن تنبه خصمك إلى أمر هجومك دون مفاجأة حتى تضمن نصراً شريفاً، ولا أحد زعم بضرورة انتهاج خطة الدفاع على الدوام وتجنب العمل الهجومي، ولا أحد جادل في ضرورة عدم تعريض نفسك ومن معك لخسائر ليس وراءها من أثر.

لم تغير من نصوص في هذه المبادئ شيء قط، وإنما تعدت وسائل العمل بها، واختلفت أساليب التفنن في تطبيقها، وجاءت هذه التطورات نتيجة لا مناص منها لأوجه التعديل والتحسين التي طرأت على تقنين نظم الأسلحة والتسليح عبر العصور وما يتبع ذلك من ضرورة تنوع أساليب القتال وفنونه.

- وظلت دراسة الحرب دائماً موضوعاً شديد التعقيد فالقتال الفعلي أي اشتباك القوات في قتال متلاحم أو قريب يمكن أن يكون عملاً غير معقد نسبياً بيد أن الخطوات التي تسبقه تلك هي التي تعقبه تنطوي على مشكلات معقدة غالباً ما تكون متناقضة، وهذا التعقيد يزداد يوماً بعد يوم كما هو الحال بالفعل مع القتال ذاته.

- كانت الاستراتيجية في العصور القديمة علماً وفناً يحتكرهما القادة العسكريون الكبار ولا يشغلان إلا اهتمام قلة قليلة من الناس، وكان ظهور قائد عسكري فذ يتقن المناورة والخداع ويحسن التقدم

السريع و ركوب المخاطر في البر أو البحر ليفاجئ العدو من مكان غير متوقع ويحشد معظم قواته مقابل نقطة عدوه الضعيفة محققاً تفوقاً مادياً ومعنوياً محلياً كافياً لتحقيق اختلال في التوازن الاستراتيجي لقوات العدو يؤدي إلى انتصار عسكري كبير يبدل مصير جيش وخريطة دولة، وكان مفهوم الاستراتيجية وقتذاك يشمل التأهب للحرب وإدارتها باستخدام القوات المسلحة والوسائط العسكرية البحتة، وكان لظهور كوكبة من القادة الأفذاذ الذين طبقوا مبادئها عبارة عن علامات مضيئة على طريق تطور الفكرة الاستراتيجية للحرب والتى كانت تنتقل بشكل خفى من جيل إلى جيل حتى أصبحت فى الوقت الحاضر ظاهرة تشمل كل مظاهر الحياة البشرية وتحيط بكافة جوانب النشاط الإنساني، وتنفذ إلى أعماق كل خلية من خلايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية فيما أطلق عليه "الاستراتيجية القومية".

- وكتاب "فن الحرب" الذي ألفه المفكر العسكري الصيني العظيم سون تسي (صن تزو) عام ٤٩٠ قبل الميلاد والذي افتتحه بعبارة:

"لفن الحرب أهمية حيوية للدولة، فهو مسألة حياة أو موت لطريق يؤدي إما للأمان والنجاة أو للهلاك والخراب، لذلك فهو موضوع هام يجب بحثه بدقة وتجنب إهماله" يمثل قيمة كبيرة بالرغم من مرور خمسة وعشرين قرنًا على كتابتها فى كيفية خوض الحرب والاستعداد لها وصولاً إلى السلام وإسهامًا فلسفيًا ضخمًا لفهم الحرب أثر – بالضرورة – فى معظم العقائد العسكرية التي ظهرت بعده باعتباره تحليلاً عميقًا لمختلف جوانب ظاهرة الحرب، هذه الظاهرة التي عاصرت المجتمعات منذ نشئوها وأثرت على تطورها أو افتقراها، وتتمثل قيمتها الثمينة في أن أفكاره حافظت على جدتها على مدى ٢٥٠٠ عام أزالت نقاطًا

انفض أوانها وتجاوزهـا التطـور العسـكري والـتقني أو عـدل في بعـض جوانبها.

وتكمن الأهمية الفائقة للكتاب فى إعلان الرئيس الصيني "ماوتس تونج" قائد ثورة الصين فى القرن العشرين أكثر من مرة سواء فى كتاباتـه أو خطبه أنه ينتمي إلى الثقافة التاوويه التى تعكـس التطـور الراديكـالي لفلسفة كونفوشيوس وأن أستاذه في ذلك هو "صن تزو" المفكر الرائد لعلم الفلسفة التاوويه السياسية والاستراتيجية في القرن الخـامس قبـل المـيلاد من خلال مؤلفة "فن الحرب".

- يقع الكتاب فى ١٣ فصلاً بيانها كالآتي :

١ – وضع الخطط.

٢ – شن الحروب.

٣ – براعة الخداع في الهجوم.

٤ – تكتيك إدارة المواقف.

٥ – استخدام الطاقة.

٦ – نقاط القوة والضعف.

٧ – المناورة.

٨ – تنوع التكتيك.

٩ – الجيش فى التقدم.

١٠ – أرض العمليات.

١١ – التشكيلات التسعة.

١٢ – الهجوم بالنار.

١٣ – الانتفاع بخدمات الجواسيس.

- يمكن إيجاز أهم وأخطر الأفكار التي تضمنتها فصول الكتاب والتي مازالت مطبقة في الحروب حتى الآن فيما يعتبر تطبيقًا عمليًا لمبادئ الحرب فيما يلي:

- كل الحروب مبنية على الخداع، ولذلك يجب أن نتظاهر بالعجز عن الهجوم عندما نكون قادرين وأن نتظاهر بالسكون عندما نستخدم قواتنا، وعندما نكون بالقرب منه يجب أن نعمل ليعتقد أننا بعيدون عنه فإن كنا عنه بعيدين يجب أن نشعره بقربنا منه ولنحتفظ بحيلنا لإغراء العدو ولنتظاهر بسوء التنظيم ثم نسحقه.
- لا يوجد أي دليل على أن بلدًا ما قد استفاد من الحرب الطويل الأمد.
- إن الذي عان من شرور الحرب هو الوحيد القادر على تفهم الطريقة المجدية لخوضها جيدًا.
- إن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة عدوك دون قتال.
- إن أرقى مستوى للقيادة هو إفساد خطط العدو، يلي ذلك من ناحية الأفضلية منع اتصال قوات العدو بعضها ببعض، يلي ذلك في الترتيب مهاجمة جيش العدو في ميدان العمليات، وأسوأ السياسات جميعها هو محاصرة المدن والمناطق المبنية.

- فى كافة المعارك قد تستخدم الطريقة المباشرة للدخول في المعركة، لكن الطرق الغير مباشرة سوف تكون ضرورية لضمان النصر.
- اظهر فى الأماكن التي يجد العدو نفسه مضطرًا للإسراع من أجل الدفاع عنها، وتقدم بسرعة إلى الأماكن التي لا يتوقع وجودك فيها.
- قد يمكنك التقدم دون أن تعترضك مقاومة على الإطلاق إذا طرقت نقط الضعف فى العدو.
- وقد يمكنك الارتداد وأنت آمن من مطاردة العدو لك إذا أجريت تحركاتك بسرعة أكبر من العدو.
- يمكن لكل الرجال رؤية التكتيكات التي بها نهزم العدو، ولكن ما لايمكن لأحد أن يشاهده هو الاستراتيجية التي تحقق النصر.
- تشبه التكتيكات العسكرية جريان الماء، ذلك لأن الماء فى مجراه الطبيعي ينحدر من الأماكن العالية بسرعة إلى المنخفضات، كذلك فى الحرب.
- إن الطريق لتجنب ما هو قوي أن تضرب الجزء الضعيف.
- إن اتباع طريق دائري طويل بعد إغراء العدو وخداعه ثم التواجد خلفه بغرض الوصول إلى الهدف قبله يدل على الإلمام بفن الالتفاف.
- سوف ينتصر كل من تعلم فن الالتفاف لأنه أهم عناصر فن المناورة.

- إذا طوقت عدوًا فاترك له مخرجًا حرًا ولا تضغط بقوة على عدوٍ فقد روحه المعنوية.
- السرعة هي روح الحرب، استغل عدم استكمال العدو لاستعداداته وتقدم نحو هدفك على الطرق الغير متوقعة وهاجم النقط الغير مُدَافع عنها.

إن معظم أبحاث كتاب فن الحرب لصن تزو الاستراتيجية أو المتعلقة بفلسفة الحرب عامة مقبولة ومطبقة في عصرنا بكل وقائعها، أما الأبحاث التكتيكية واللوجيستية فتقدم للقارئ معلومات تفيده في كل دراسة تاريخية لهذه الموضوعات والتي أجزم أن كبار القادة العسكريين على اتساع العالم قد اطلعوا عليه والذي لا يخلو مرجع عسكري رصين من بعض أفكاره.

لواء أ.ح

دكتور / إبراهيم شكيب

ســون تســى

كان صاحب هذا الكتاب يحمل اسم "سون وو" ويلقب بـ "تشانغ تشينغ" وه من مواليد لو أن بمملكة بتشي (محافظة هوي مين بمقاطعة شاندونغ اليوم) فى أواخر عهد "الربيع و الخريف" (٥٥١-٤٧٩ق.م).

أنحدر سون تسي من عائلة عسكرية، وقد سبق لجده وجد أبيه أن سجلاً مآثر فى قيادة المعارك، وبتأثره بالظروف العائلية المحيطة تلقى دراساته العسكرية على خير وجه منذ طفولته، وعلى هذا الأساس أصبح أعظم اختصاصي صينى بالنظريات العسكرية فى قديم الزمان. وبعد حدوث اضطراب فى بلده هاجر الى قوسو عاصمة مملكة "وو" (مدينة سوتشو اليوم، الجميلة المناظر) حيث ركز جهوده على تلخيص التجارب الحربية ودراسة الفن الحربى زاهداً فى الحياة، وما أن اعتلى الملك خه ليوي عرشه سنة (٥١٦ق.م.)، حتى راودته الرغبة فى شن الهجمات على مملكة تشو، وذلك فى محاولة للهيمنة عليها، وكان واثقاً من النصر لوجود عسكرييه الاكفاء فى قيادة القتال، ولكن وزيره ووتسى شيوي قدم إليه سون تسى المتعمق فى فن الحرب وبناء الجيش. وحين قابل سون تسي الملك أطلعه على ما ألفه ووضعه ثلاث عشرة مقالة خاصة بفن الحرب، ولقيت وجهة نظره المثيرة كل الأعجاب. كما نالت أفكاره الرائعة المتمثلة فى مقالاته الإطراء والاستحسان الفائق من قبل الملك. ومنذ سنة (٥١٢ق.م) اتخذ الملك خه ليوي خطة استراتيجية لإزعاج مملكة تشو وإتعابها حسب تخطيط سون تسي وزملائه. وعليه فقد خصص ثلاث مجموعات من القوات المسلحة لشن الهجمات على

مملكة تشو بصورة متناوبة، مما أدى الى اضعاف قواتها العسكرية. وعندما نضجت ظروف غزو مملكة تشو سنة (٥٠٦ق.م)، قاد قوات سون تسي قوات تشو المرابطة فى بوجيو (ماتشنغ بمقاطعة هوبى اليوم) ومناطق أخرى، ومن ثم قاد سون تسي قواته فى التقدم إلى الأمام، وانتهى بهم الأمر إلى الإستيلاء على مدينة ينغتشنغ (جيا نغليغ بمقاطعة هوبة اليوم) عاصمة مملكة تشو. بالإضافة الى ذلك قدم سون تسي مساهمات كبيرة فى حرب مملكة (وو) ضد مملكة تشي التى نشبت من بعد. وقد جعلت أفكار (سون تسي) مملكة (وو) مملكة جبارة فى فترة من الفترات .

أهمية الكتاب

"فن الحرب" هو كتاب سون تسي الوحيد حتى الآن، والذى يضم بين دفتيه ثلاثة عشر فصلاً، مثل : فصل تقدير القوة وفصل القتال، وفصل تدبير الهجمات، وفصل الزحف، وفصل التضاريس الجغرافية، وفصل الهجوم بالنار، وعلى الرغم من ان الكتاب مكون من حوالى ٦٠٠٠ مقطع كتابي صينى فقط، إلا أن عباراته شاملة ومحتوياته غنية.

نعرف من هذا الكتاب فنون القتال الحربى؛ حيث يدعو إلى مواجهة الحرب بكل انتباه ودهاء، بالإضافة الى التعزيزات الحربية واتخاذ الإجراءات الوقائية المضادة للأخطار، ويفضل إحراز النصر دون اللجوء إلى القتال. سون تسي يرى ضرورة التفوق على الخصوم فى التخطيط الاستراتيجي والقوة القتالية على حد سواء، ويدعو إلى خوض المعارك الخاطفة الحاسمة، وشن الهجمات المباغتة فى عمليات الحرب، ومعرفه العدو وطرق تفكيره، ومعرفة النفس فى آن واحد، وضرب المواقع الضعيفة والأمتناع عن ضرب المواقع الحصينة، والإمساك بزمام المبادرة. أما فى الشئون الداخلية للجيش فيدعو الى تنفيذ القوانين والأوامر العسكرية بصرامة، والاستفادة من المكافأة والعقاب فى آن واحد والعناية بالمحاربين ومعاملة الأسرى معاملة حسنة.

زاد عدد المؤلفات المطبوعة التى خصصت لشرح "فن الحرب لسون تسي" قبل ثورة ١٩١١ الصينية عن ٥٠٠ مؤلف. فهذا الكتاب ذائع الصيت منذ القدم، وكانت اليابان أول بلد انتقل إليه هذا الكتاب الصينى. فعندما عاد "كيبيو ما كيبى" أحد الطلاب اليابانيين المبعوثين إلى

الصين، إلى بلدة ٧٣٥م حاملا معه كتاب "فن الحرب" ألقى محاضرات حوله فى فصل دراسى فتح خصيصاً لذلك. وكانوا ينظرون بكل التقدير والإكبار لـ سون تسي صاحب الكتاب، وظل علماء الشئون العسكرية فى اليابان يعتزون بدراسة "فن الحرب" اعتزازاً لا مثيل له.

الآن وقد تم نقل "فن الحرب" إلى اللغات اليابانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والتشيكية والكورية والفيتنامية والعبرية، قيل إن نابليون الفرنسى وولهلم الثانى الألمانى كان لهما ولع خاص بقراءة هذا الكتاب. أما المارشال مونتغمرى البريطانى فقد قال عندما زار الصين فى الستينيات للرئيس الراحل ماوتسي تونغ : "إنه من الضرورى إدراج "فن الحرب لسون تسي فى قائمة المواد الدراسية للكليات العسكرية فى العالم". وكان الرئيس الراحل ماوتسي تونغ متعمقاً في دراسة "فن الحرب لسون تسي" ومحنكاً فى تطبيق هذا الفن، فقد أوصى فى غضون حرب المقاومة ضد اليابان الرفيق "فوة هواروه" الباحث فى النظريات العسكرية بدراسة "فن الحرب" والدعاية له من وجهة نظره، حرصاً منه على رفع مستوى القتال للأمة الصينية. وقد أعطت هذه الجهود ثمارا يانعة بتأليف عشرات الكتل، إلى جانب أكثر من ثلاثمائة بحث علمى ابداعى. الأمر الذى ارتقى لدراسة هذا الكتاب الى مرحلة جديدة. الجدير بالذكر – وبصورة خاصة – أن انعقاد الندوتين الدولتين لدراسة "فن الحروب" فى مايو ١٩٨٩ واكتوبر ١٩٩٠، وتأسيس جمعية بحوث "فن الحرب لسونتسى" قد جذبا المزيد من الخبراء والعلماء الى الاهتمام بالكتاب، مما أثار موجة من الحماسة لهذا الفن الطريف أن فن الحرب لسون تسى" ليس مقتصراً على التطبيق فى ميدان الشئون العسكريةفى كل زمان، بل هو موضع الاهتمام لدى الساسة

والدبلوماسيين ورجال الأعمال. وقد نشرت العديد من المقالات التي يدور محورها حول الاهتداء الى طريق النجاح بالاستفادة من "فن الحرب" في خوض غمار النضالات السياسية، وتدبير الشئون الدبلوماسية ،وإدارة المفاوضات ،وممارسة المباريات الفنية. بالإضافة الى ذلك فإن الأبحاث والمؤلفات التي تلقة الضوء على الانتفاع بعقل "سون تسي" الفذ في خدمة النظريات الخاصة بإدارة المؤسسات العصرية تلقى إقبالاً داخل الصين وخارجها. وعلى سبيل المثال بعد أن نشر كتاب "فن الحرب لسون تسي وإدارة المؤسسات التجارية" بقلم لي شي جيون ويانغ شيان وغيرهما سنة ١٩٨٤ أعيد طبعه مراراً. ليس هذا فقط، بل ألف البروفيسور "تشن بينغ" في جامعة نانكاي بتيانجين مع أحد العلماء الكنديين كتاب "فن الحربلسون تسي والأعمال الإدارية" باللغة الانجليزية سنة ١٩٨٩ لسد حاجة القراء.

وهناك أعداد متزايدة من رجال الأعمال يركزون اهتمامهم على الاستفادة من عقل سون تسي وحيلة في ممارسة المنافسة الاقتصادية. وكان اليابانيون سباقين في هذا المجال : فبعد الحرب العالمية الثانية حاول عدد من رجال الأعمال اليابانيين الاستفادة من "فن الحرب لسون تسي" في النهوض بالأنشطة التجارية.

ويعتبر هذا الكتاب من روائع مكتسبات التبادلات العلمية بين الصين واليابان، ويعزى السبب في شهرة هذا الكتاب العسكري الصيني وشيوعه في الصين والعالم الى توضيحه وجهة النظر الحربية والنظريات العسكرية انطلاقاً من الذود عن السلام، واحتوائه على الحكم العميقة. ولا يعتبر "فن الحرب لسون تسي" ثروة للصين فحسب بل هو ثروة للعالم كله .

كتاب "فن الحرب"

وحرب الخليج

كتب أحد المراسلين الصحفيين الأمريكيين خبراً طريفاً من ساحة المعركة فى حرب الخليج، جاء فيه: "على الرغم من أن الصين لم ترسل الى الخليج جندياً واحداً، إلا ان هناك صينياً لغزاً يشارك فى المعركة، وهو يقود عمليات القتال. ذلك الصينى هو سون تسي الذي عاش ومات قبل ٢٥٠٠سنة. هذه المقولة صحيحة نسبياً؛ فقد كان مع كل واحد من ضباط مشاو البحرية الأمريكية فى الخليج نسخة من كتاب "فن الحرب لسون تسي" باللغة الإنجليزية، وشريط كاسيت يشرح هذا الكتاب. وكان قائد مشاة البحرية الأمريكية يلزمهم بقراءة هذا الكتاب مراراً وتكراراً حتى يستظهروه.

الفصل الأول

وضـــع الخـطـط

إن موضوع الحرب ذو أهمية حيوية للدولـة، إنـه مسـألة حيـاة أو موت، فإما الطريق إلى البقاء وإما الفناء، لذلك فإنه يتحـتم دراسـة هـذا الموضوع دراسةٍ جادة. ولكى تجرى تقييماً لنتيجة حرب ما، يجب عليـك أن تقوم بدراسة مقارنة للأحوال والجوانـب المختلفـة للعـدو فـى ضـوء العوامل الخمسة الأساسية الآتية:

أولاً: التأثير الأخلاقى: وهو ذلك الشىء الذى مـن أجلـه يكـون الشعب فى انسجام وانتلاف تـام مـع السـلطة العليـا، ومـن ثـم فـإنهم يتبعون هذه القيادة غير مبالين بحياتهم ودون أدنى تفكير فى الخيانة.

ثانياً: المناخ: ويعنى الليل والنهار، والبرودة والحـرارة، والأوقـات والفصول.

ثالثـاً: طبيعـة الأرض (التضـاريس): تشـمل الجبـال مـن حيـث الارتفاع والانخفاض، المسافات بعيدة أو قريبة، والأماكن خطرة أم آمنة، والأرض شاسعة أم ضيقة، بالإضافة الى فرص الحياة والموت.

رابعـاً: القيـادة: القائـد ومـا يتميـز بـه مـن صـفات الحكمـة، والإخلاص، والخير والشجاعة ،والصرامة.

خامساً: مبادىء التنظيم: وتشمل توجيه وتنظيم الجيش وإعطـاء الرتب المناسبة للضباط، فضلاً عن التحكم فى النفقات العسكرية.

إن هـذه العوامـل الخمسـة لابـد أن تكـون معروفـة لكـل قائـد عسكرى. فمن يجيدها يربح ولا يهزم. ولكى تتنبأ بنتيجة حرب ما، فـإن هذه العوامل والخصائص يمكن تحليلها من خلال هذه المقارنات السبع:

١- أي قيادة عليا تحتفظ بأعظم نفوذ أخلاقى ومعنوى؟

٢- من هو القائد الأكثر كفاءة؟

٣- أي الجانبين تتوافر له ظروف الأرض والمناخ المواتية؟

٤- فى أي الجانبين يتم تنفيذ القرارات على الوجه الاكمل؟

٥- أي الجيشين يتفوق فى السلاح والعتاد؟

٦- فى أي جانب يوجد الضباط الجنود المدربون أفضل تدريب؟

٧- أي الجـانبين أكثـر صـرامة وحياديـة فـى تقـدير المكافـآت والعقاب؟

فى ضوء هذه العناصر السبع أستطيع التنبؤ بالنصر أو ياالهزيمة. فإذا ما التفتت القيادة الى هذه الخطط الحربية وقامت علـى تنفيـذها، فسـوف تكسب الحرب بلا نـزاع، وهكـذا أظـل بجانبهـا. وإن لم تلتفـت القيـادة وتعمل على تنفيذ هذه الخطط، فسوف تهزم وسأتركها.

الاهتمام بمزايا هذه الخدع الحربية يمكن القائد من وضع نفسه فـى موقف متميز يتجاوز به الأحكام العادية. والمقصود أن يـتلائم ويسـتفيد القائد من هذه المزايا فى ميدان الحرب حتى يواجه ما يقابله من صعاب.

تعتمد جميع الحروب على الخدعة. حين تكون قادراً علـى الهجـوم فلابد أن تتظاهر بعدم القدرة على ذلك، وحين تهـم بالتعبئـة فلابـد أن

تبدو غير مكترث، وحين تود الاقتراب لابد أن تشعر الآخرين بأنك بعيد والعكس صحيح. قدم طمعاً لاستدراج العدو، وعند طمعه فى مكسب صغير اضربه الضربة القاضية قبل أن يتوازن من جديد. إذا كان مدججاً بالسلاح رغم تلك الضربة فضاعف من احتياطاتك. إن كان قوياً حاول المراوغة وتجنبه، وإن كان ثائراً حاول تثبيط همته إذا تظاهر بالخنوع والذل ازرع فيه الغطرسة والتكبر. إذا ما أخذت قواته قسطاً من الراحة يجب أن ترهقه بالهجمات المتلاحقة، وإذا ما توحدت شتتها (فرق تسد). باغت العدو فى حالة ارتباكه، أي هاجم فى الوقت غير المتوقع. هذه مفاتيح النصر لأي استراتيجى، ومع ذلك فإنها لا تتبلور إلا فى الميدان.

القائد الذي ينجح فى حساباته قبل الحرب يكون احتمال انتصاره قوياً، وإن حصل على نتائج قليلة من خلال الحسابات النظرية فسوف تكون فرصته فى النجاح ضئيلة. إن النصر يكون حيث تكون الاحتمالات صحيحة، ولا يكون حين تندر هذه الاحتمالات. وأن يكون هناك أمل فى إحراز أية انتصارات إذا لم يحصل القائد على أية نتائج من خلال حساباته النظرية قبل الحرب. نعم من خلال فحص الموقف من جميع الأوجة استطيع أن أتنبأ بمن سيحالفة النصر ومن ستلحق به الهزيمة.

الفصل الثاني

شن الحـروب

إن قوام العمليات العسكرية عادة ما يحتـوى علـى ١٠٠٠ مركبـة حربية خفيفة الحركة، و١٠٠٠مركبة حربية ثقيلـة، و١٠٠٠ مـن الجنـود المدججين بالسلاح، مع نقل احتياطـات هـذه القـوات المسـلحة مسافة ١٠٠٠ لى(*) وبإضـافة المصـروفات الداخليـة الى مصـروفات الميـدان / كالانفـاق علـى ضـيوف الدولـة والمبعـوثين الدبلوماسـيين، وتكـاليف الخامات مثل الصمغ والـورنيش، ونفقـات صـيانة المركبـات العسـكرية والمدرعات، يصل الإجمالى الى حـوالى ١٠٠٠قطعـة مـن الـذهب يوميـاً، وبهذا المبلغ يمكن تجهيز جيش قوامة مائة الف رجل.

وفى حالة إدارة جيش ضـخم كهـذا يكـون الهـدف الرئيسـى هـو النصر السريع، فإذا ما تأخرت الحرب سـتتلف أسـلحة الجنـد وتصـدأ، وستخمد حماسة الرجال. وإن هاجم الجيش المدن فسـوف تنهـك قـواه، كذلك إن بدأ فى شن حملات عسكرية طويلة وممتدة فإن ثروات الدولـة سـتنفذ دون جـدوى. إذا صـدأت اسـلحتك. وانطفـأت حماسـتك، واضمحلت قوتك، ونفدت ثروتك، سينتهز الحكام فـى الـبلاد المجـاورة هذه الفرصة، ومهمـا تكـن درجـة الحكمـة فلـن يسـتطيع أحـد تفـادى العواقب الوخيمة الناتجة عن ذلك. وكما سمعنا عن الهجـوم المتهـور، لم نسمع عن عملية عسكرية ذات خطة ماهرة استمرت طويلاً، فلم توجـد

(*) لى : وحدة صينية لقياس المسافات تساوى ثلث ميل .

أبداً حالة أفادت فيها الحرب الطويلة البلد أو الوطن، لذلك فإن الذين يعرفون كيف يقودون الحرب للنصر هم أولئك الذين يتفهمون الأخطار المتعلقة بالتوظيف الخاطىء للجنود.

المهارة فى توظيف القوات العسكرية لا تتطلب تجنيد دفعة ثانية من التجنيد الالزامى أو أكثر من دفعتين احتياطى، هؤلاء الجنود يحملون الأمدادات العسكرية من الوطن الام الى المناطق البعيدة، كذلك يسددون احتياطيهم معتمدين على غنائمهم من العدو. هكذا يكون الجيش دائماً مدعوماً ومتأهباً، فعند خوض الدولة غمار العمليات العسكرية تستنزف مواردها؛ فمن ناحية يكون الجنود معدمين لاضطرارهم الى نقل الامدادات لمسافات بعيدة، ومن ناحية أخرى فإن الأسعار المحلية للسلع فى المنطقة القريبة من المعسكرات الحربية عادة ما يرتفع ثمنها، وهذا الارتفاع فى الاسعار يستنزف الموارد المالية للدولة. وعند نفاد الموارد سيبتلى الفلاحون بالجباية، ومع نضوب القوة واستنزاف الثروات فإن كثيراً من الأسر فى الوطن الأم لن تجد ما تأكله. وستجد أن سبعة أعشار دخل الشعب يتبدد، وستة أعشار الدخل الحكومى يدفع ثمناً للمركبات المحطمة والخيول المرهقة، والمصفحات والمدرعات، والجند والسهام، والأقواس والرماح، والتروس والحراب، والدروع، والثيران والعربات الثقيلة.

من هنا ترى أن القائد المحنك هو الذى يحصل على احتياطيه من الأسلحة من بلاد العدو. إن الحصول على زهونج [1] واحد من الحبوب فى ساحة القتال يساوى الحصول على عشرين زهونج منقولة من الوطن

---

(١) زهزنج : وحدة كيل صينية.

الام. كذلك دان (*) واحد من العلف فى المنطقة التى تم غزوها يساوى عشرين داناً من مخزن الوطن الأم.

لإيقاع الهزيمة بالعدو يجب تهيئة الجند واشعال حماستهم لدرجة الغضب، ولضمان النصر والاستيلاء على ممتلكات العدو يجب أن ينال الرجال قسطاً من الغنائم؛ ففى معركة عربات عسكرية حين يتم الاستيلاء على أكثر من عشر عربات عسكرية لابد من مكافأة أول الجنود الذين استولوا عليها، ثم تحل راياتنا وأعلامنا محل أعلام العدو، وضع العربات العسكرية التى تم الاستيلاء عليها بين عرباتنا ويقوم الجنود باستعمالها. ولابد أن يعامل أسرى الحرب معاملة طيبة، وهكذا تزداد القوة بهزيمة العدو. ولهذا فإن النصر الحقيقى فى الحرب هو النصر السريع لا نصر العمليات العسكرية الطويلة الممتدة، والقائد الحق هو الذى يفهم الحرب جيداً فهو يتحكم فى مصير شعبة ضامناً لهم الأمن والأمان.

(*) دان : وحدة كيل صينية

الفصل الثالث

تدبـــير الهجمــــات

إن أفضل ما فى الحرب هـو الاستيلاء علـى بـلاد العـدو كاملـة سليمة، لكن إن دمرت فذلك أدنى ما فى الحرب. ان تأسر جيش العدو كاملاً أفضل من تحطيمه، وذلك لأن أسر فصيلة مكونة من خمسة جنـود أفضل من سحقها، وإن مائة نصر فى مائة معركة ليس قمة المهارة، وإنما قهر وإخضاع العدو بدون حرب هو أعلـى درجـات المهـارة. لـذا فـإن أفضل سياسات الحرب هى أن تهاجم استراتيجية العدو، وأفضل خطوة تالية هى تمزيق روابط وحدتهم بطرق دبلوماسية، ثم الوسيلة التالية هى مهاجمة الجيش فى الميدان لأن أسوأ سياسة فى الحرب هى مهاجمـة المـدن الحصينة.

مهاجمة المدن هى الملجأ الاخير حين لا يكـون هنـاك بـديل آخـر، لأنك تستغرق أكثر من ثلاثة أشهر فى تصنيع الأغطية، والموانع الواقية، والمركبات المدرعة، وتجهيز الأسلحة والأجهزة الضرورية وتستغرق ثلاثة أشهر أخرى فى إعداد المتاريس الأرضية المقامة علـى الحـوائط والموانـع مثل النمل مع احتمال تعـرض ثلـث العـدد للقتـل، فـى مهاجمـة المـدن الحصينة. لهذا يهزم خبراء الشئون الحربية العـدو دون نـزال، ويسـتولون على المدن دون هجوم، مطيحين بالدولة فـى أسـرع وقـت ممكـن، فهـم يحققون الفوز بكل شيء عن طريق التفوق فى التخطـيط الاسـتراتيجى، فلا يرهقون جيوشهم ويكون الانتصار كاملاً. إنه فن الخداع الحربى.

يجب أن يكون فن تحريك الجند مطابقاً لفن الخداع الحربى، فعندما
يجب أن يكون فن تحريك الجند مطابقاً لفن الخداع الحربى، فعندما تكون القوة عشرة امثال قوة لعدو فلابد من إحاطته وتطويقة، وعندما تكون القوة خمسة أمثال قوة العدو فلابد من مهاجمته، وإن كانت القوة ضعف قوة العدو ناوشه، وفى حالة تساوى القوتين لابد أن تكون قادراً على تقسيم قوات العدو وتشتيتها، وإن كانت القوة أقل من العدو فيجب أن تكون قادراً على الدفاع عن نفسك. وإن كانت الظروف غير مواتية من كافة النواحى فليس أمامك سوى مراوغة العدو. لأن القوة الضعيفة ستسقط فى يد القوة الأقوى إن لم تتمسك بالأرض وتلتزم بالدفاع المستميت.

القائد هو حصن الدولة حاميها، فإذا ما اكتمل الحصن من جميع الأوجة تصبح الدولة قوية، وإن كان الحصن هشا تضعف الدولة. وهناك ثلاث طرق يجلب بها القائد الضعيف سوء العاقبة والعراقيل لجيشه، وهى:

أولاً: أمر الجيش بالتقدم وجهل حقيقة أن الجيش لا يستطيع ذلك، أو إعطاء الأمر بالانسحاب والجهل بحقيقة استحالة رجوع الجيش إلى الوراء، وهذا ما يسمى بتوريط الجيش.

ثانياً: التدخل فى إدارة الجيش دون الدراية بشئونه الداخلية مما يجعل الضباط والجنود فى قمة الارتباك.

ثالثاً: التدخل فى توجيه الحرب، وهو يجهل القاعدة العسكرية الخاصة بالتكيف مع الظروف، وهذا يزرع الشكوك والهواجس فى عقول الضباط والجنود. وإذا ارتبك الجيش

وانتابته الشكوك والهواجس بشأن كفاءة القائد سينتهز الحكام فى البلاد المجاورة هذه الفرصة مسببين العديد من المشكلات، وهذا يجلب الفوضى العسكرية داخل الجيش ويبعد أى احتمالات للنصر .

ولكى يرجع القائد كفة الميزان مرة أخرى لصالحه هناك خمس نقاط يجب اتباعها لتوقع النصر :

- معرفة متى يحارب، ومتى لا يحارب.
- معرفه الخصم : هل هو قوى أم ضعيف وكيفية مواجهته.
- اتحاد القوات ضباطاً وجنوداً فى الهدف.
- التجهيز الجيد مع ترقب الفرص وانتهازها لكسب الحرب.
- عدم التدخل فى شئون القادة الأكفاء.

هذه هى الحالات الخمس التى يكون فيها الطريق الى النصر ممكناً، لذا فإننى أقول : اعرف عدوك واعرف نفسك تستطيع أن تخوض مائة معركة دون المجازفة بهزيمة واحدة، فحين تكون جاهلاً بالعدو وعارفاً بنفسك فإن فرص النصر والهزيمة تكون متساوية. أما إذا كنت جاهلاً بعدوك وجاهلاً بنفسك فمن المؤكد أنك ستهزم فى كل المعارك هزيمة منكرة.

الفصل الرابع

طبيعة القوة العسكرية

كان أول ما يفعله المقاتلون المهرة فى الماضى هو بقائهم فى حالة اللاغلبة، منتظرين أية ثغرة فى صفوف أعدائهم. وتعتمد حالة اللاغلبة على المقاتل، لكن سقوط العدو يكمن فى ثغرات العدو ذاته، فالمقاتلون المهرة يحافظون على حالة اللاغلبة لكنهم لا يقدرون على جعل العدو هدفاً سهلاً، لذلك يمكن القول بأن المرء قد يعرف كيف يحرز النصر، ولكنه قد لا يستطيع. وتكمن حالة اللاغلبة أو عدم الهزيمة فى طريقة الدفاع ؛ فإمكانية النصر تكون فى الهجوم. دافع عن نفسك إذا كانت قوة العدو تفوقك، وهاجمه حين تكون هذا القوة غير كافية. مهارة الدفاع تتطلب التخفى فى المواقع الأكثر سرية وعزله تحت الأرض، والمهارة تكون فى السرعة الشديدة وكأنهم يهبطون من السماء كطير أبابيل، بهذا يصبح الجيش قادراً على حماية نفسه وإحراز النصر. أن التنبؤ بالنصر كأى فرد عادى لا يعتبر قمة التفوق، ولا يعتبر النصر من خلال حرب عنيفة تشهد الامبراطورية كلها ببراعتك فيها قمة التفوق أيضاً فاقتلاعك لشعرة ضعيفة لا يعنى قوتك، وسماعك قصف الرعد لا يعنى أنك حاد السمع، ورؤيتك الشمس لا تعنى أنك حاد النظر.

قديماً كان يطلق لقب "الماهرون" على اولئك الذين يغزون عدواً يسهل غزوه، ومن ثم فإن القائد العسكرى قد يحرز انتصارات دون أن يظهر نجاحاً عسكرياً لامعاً، ودون وصفه بالحكمة أو نيلة وسام استحقاق لشجاعته. فهو ينتصر ولا يرتكب الأخطاء مما يؤكد النصر ؛

لأنه يحارب عدوا مهزوماً بالفعل. كان القائد المحنك يضع قواته دائماً فى موقع لا يمكن اكتشافه، وفى الوقت نفسه يتيقن من عدم فوات أية فرصة لإلحاق الهزيمة بالعدو. ومن ثم فإن الجيش المنتصر لن يدخل الحرب مع العدو. حتى يكون النصر مؤكداً، فى حين أن الجيش التى تكون الهزيمة قدره لا يهمه سوى دخول الحرب مع خصمه آملاً أن يحالفه النصر بضربة حظ. إن القائد العسكرى المحنك يعزز التأثير الأخلاقى والمعنوى ويلتزم بالأنظمة والقوانين وهكذا يصبح قادراً على التحكم فى نجاحه.

من هنا نرى أن عناصر فن الحرب هى :

أولاً : تقدير المسافات ؛ حيث يتم قياس المسافات الأرضية.

ثانياً : التقديرات الكمية، وهى تعتمد على القياسات.

ثالثاً : الحسابات بالأرقام ؛ حيث تحسب الكميات.

رابعاً : مقارنات القوة ؛ حيث تكون المقارنة فى قوة الأعداد المتحاربة.

خامساً : فرص النصر، وتأتى بالمقارنة فيكون النصر حليف الأقوى.

الجيش الظافر مثله كمثل رطل تقابله حبه قمح، والجيش المنهزم مثل حبة قمح يقابلها رطل. فالجيش المتفوق يبدأ الهجوم مثل انفجار مياه محبوسة فى فجوة عمقها ١٠٠٠ قامة (القامة-٦أقدام)، وهذا ما يطلق عليه طبيعة القوة العسكرية فى العمليات الحربية.

الفصل الخامس

استخـــدام الطاقـــة

إن مبادىء إدارة قوة كبيرة كمبادئ إدارة قـوة قليلـة العـدد، فهـى فقط مسألة تنظيم. وكما توجه جيشاً كبيراً للقتال تستطيع توجيه جـيش صغير، فهى مسألة اصدار أوامر وإشارات. ويرجع استيعاب الجيش كل عمليات العدو الانتحاريـة، وتحملـه كـل مـا يبذلـه العـدو للنجـاح الى العمليات التى تقوم بها القوات الخاصة وبقية قطاعـات الجـيش. وعنـد اندفاع القوات بأعداد كبيرة فإنهـا تضـرب العـدو كمـا يضـرب الحجـر البيض، فهو خير مثال على ضرب القوى للضعيف.

ويجب أن يستعمل القائد فى المعركـة القـوات الأساسـية لتنـاوش وتقاتل العدو والقوات الخاصة لتحقيق النصر. إن استخدام القائد الماهر للقوات الخاصة هو استخدام موارد لا تنضـب كمـوارد المـاء والأرض، كتدفق الأنهار الجارية، فتبدأ تلك القوات وتنتهى بحركة متتابعة كحركـة الشمس والقمر، فتغيب وتظهر مثل تغير الفصول الاربعـة فهنـاك فقـط خمس نوتات موسيقية، لكن مع تنوع الاتحاد والدمج بينها تحصـل علـى عدد لا نهائى من الألحان. ولا يوجد أكثر من خمسة ألوان رئيسية، ولكن بمزجها معاً تحصل على أكبر قدر مـن الألـوان غـير المتوقعـة، كـذلك لا يوجد أكثر من خمس أساسيات للتذوق، ولكن دمجهم قد يعطيك نكهة لم تتذوقها من قبل. فلا يوجد أكثر من احتمالين فى المعركة : إمام الاعتماد على عمليات القوات الخاصة أو الجيش، وباتحادهمـا تتولـد سلسـلة لا تنتهى من المناورات. لأن هذا التزاوج المشترك بين القوات يشـبه حركـة

دائرية لا تنتهى أبداً فمن يستطيع أن ينهك قوة كتلك؟.

عندما تقذف المياه الجارفة الصخور تقذفها بسبب قوتها الدافعة ويرجع انقضاض الصقر على جسد الفريسة لتوقيته المناسب، كذلك يكون القائد الكفء فى المعركة، فهو يولد فى جيشه قوة دافعة ساحقة لا تقاون، يهجم فى التوقيت المناسب بأقصى سرعة، وتكون الطاقة فى هذه الحالة مثل قوس مسحوب ومشدود لأقصى درجة، ويكون التوقيت المناسب عند الضغط على الزناد.

وعند احتدام المعركة تظهر الجيوش بمظهر يوحى بالفوضى، فيبدو الجند وكأنهم يدورون فى حلقات مفرغة. والحقيقة أنه لا توجد أية فوضى بل ما يحدث هو دليل النصر، فالفوضى الظاهرة ما هى الا تنظيم، والجبن الظاهر ما هو إلا شجاعة والضعف الظاهر ما هو إلا قوة؛ فالنظام أو الفوضى يعتمدان على التنظيم والتوجيه، وتعتمد الشجاعة أو الجبن على الحالة النفسية، كذلك تعتمد القوة او الضعف على حسن تصرف السلطة. وهكذا فإن القائد الكفء هو من يحافظ على زحزحة العدو كيفما يريد، وفى اللحظة المناسبة ينصب كميناً مفاجئاً للعدو.

وتتضح مهارة القائد باستغلاله الموقف أحسن استغلال وعدم إرهاق جنده، وبذلك يصبح قادراً على اختيار الأنسب من الرجال واستغلال الموقف. فمن يستغل الموقف يستخدم رجاله فى القتال بسرعة هائلة، مثل حجارة الجبل المندفعة من ارتفاع عال بقوة اندفاع شديدة، وهذا ما يسمى بالاستخدام الأمثل للطاقة، أو الطاقة القصوى.

وذلك بتحليل خطة العدو كى يكون لنا تصور واضح لنقاط القوة

والضعف فى قواته، وبإثارته لنتأكد من خططه فى التحرك، وبإلقاء طعم فى العراء ليتسنى لنا تعرف نقاط ضعفهم التى تسهل مهاجمتها، أيضاً بسبر أغوارهم كى نعلم أين تكون قواتهم غزيرة وأين تقل. إن الهدف من تنظيم الجيش هو حجبه جيداً حتى لا يعرف العدو مكان توزيعه، وبهذا لا يستطيع أمهر الجواسيس استطلاع تنظيم الجيش، كذلك لا يستطيع خبراؤهم رسم خطة دقيقة للهجوم ضدك .

يعرف الناس التكتيكات والأساليب التى يحقق بها النصر، لكنهم لا يعرفون كيفية استخدامها وتطبيقها وفقاً للأوضاع التى يمكنهم تحقيق النصر فيها، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يحرز النصر بنفس طريقة شخص آخر؛ فالتكتيكات تتغير دائماً وتتنوع لتلائم الظروف المتغيرة. إن قوانين العمليات العسكرية تشبه الماء، تتدفق المياه من المرتفعات الى المناطق المنخفضة، والعمليات الناجحة مثلها كمثل تدفق الماء تكمن فى تجنب قوة العدو وضربه فى نقاط ضعفه، كذلك يغير الماء مساره طبقاً لتعاريج الأرض التى يسير فيها، وعلى غرارها يحرز الجندى النصر بتكتيكات تتوافق مع طبيعة العدو. نرى من ذلك عدم ثبات الأساليب والتكتيكات فى الشئون الحربية. والذى يستطيع أن يحور تكتيكاته طبقاً لموقف العدو يستطيع أن يحرز النصر؛ حتى يقال إن ذلك من عظمة وحكمة القائد، فالفصول الأربعة لا يوجد فيها فصل دائم، والأيام بعضها طويل والآخر قصير، والقمر أحياناً يصبح بدراً وأحياناً يصبح شاحباً، فليست هناك قاعدة ثابتة.

الفصل السادس

المنـــاورة

أثناء الحرب يحصل القائد العام على الأوامر من القائد الأعلى وتتم التعبئة وتحريك الجيش وانتشاره؛ حيث يكون على أهبة الاستعداد، ثم تأتى أصعب الخطوات فى العمليات العسكرية، وهى فن المناورة العسكرية. وتكمن صعوبة المناورة فى تمهيد الطرق الملتوية ،وتحويل السلبيات الى ايجابيات. مثال ذلك أن تضلل العدو فينحرف عن طريقه وتبطىء حركته وذلك بإلقاء طعم يلهث وراءه، مما يجعلك تصل قبله إلى ميدان القتال، وهو ما يسمى بإجادة التضليل والخداع.

من هنا نرى أن المميزات والخطر هما صنوان للمناورة التى تمكنك من الحصول على موقع أفضل، ومن يدفع جيشه كاملاً محملاً بالأمتعة والمؤن – وهما من عوائق الحركة – للحصول على موقع متميز سيكون بطيئاً ومن ثم يصعب عليه الوصول الى موقع كهذا، وإن ترك المعسكر مخلفاً وراءه الأمتعة والمؤن سعياً وراء الموقع المتميز سيفقد الامتعة والمؤن، ومن ثم عندما يشحذ الجيش أسلحته وينطلق بأقصى سرعة دون توقف ليلاً أو نهاراً ويضاعف الزحف بمعدل مائة (لى) للحصول على الموقع الأفضل سيسقط قائد قطاعات الجيش الثلاثة، وسيصل أنشط مجاميع الجند أولاً، ويظل الجنود الضعفاء يسيرون على الطريق، ولن يصل سوى عشر الجيش. وإن كان الزحف بسرعة خمسين لى فسيسقط قائد طليعة الجيش أو المركبات ولن يصل سوى نصف الجيش. أما إن تضاءلت السرعة إلى ثلاثين لى فلن يصل إلا ثلثا الجيش، وهكذا سيصل

الجيش دون أن تكون معه قافلة المؤن، ولن يستطيع أن يبقى دون مؤن أو مصادر دعم.

عند جهلك بمداخل ومخارج جيرانك تحالف معهم. وهؤلاء الذين لا تتوافر لديهم الدراية بالجبال والغابات والطرق الضيقة الخطرة والحقول المستنقعات لا يجب عليهم قيادة الجيش، كذلك الذين لا يستعينون بمرشدين محليين لن يستطيعوا الاستفادة من ميزة الأرض. إن الحرب تقوم على الخدعة؛ حيث يتم التحرك عند الشعور بالأمان وتتغير الخطط بتغير الظروف ويكون تركيز الجنود عالياً. يجب أن تكون أثناء حملاتك العسكرية سريعاً كالريح، كذلك فى غاراتك يجب أن تكون قوياً كالنار فى الهشيم، وفى الصمود يجب أن تكون ثابتاً راسخاً كالجبل، وحين اختبائك يجب أن تكون شفافاً كالأشياء الهلامية، وعند التحرك انقض مثل قصف الرعد، وعندما تجتاح بلداً دافع عن الأماكن الاستراتيجية، وحين تهم بغزو منطقة يجب أن تزن الموقف قبل أن تتحرك، فالذى يتقن فن التضليل يكون النصر حليفة، وهذا ما يؤكده فن المناورة.

وتؤكد كتب إدارة الجيوش : "يجب استخدام الأجراس والطبول نظراً لاستحاله سماع الأصوات فى المعركة، ولأن القوات لا تستطيع أن ترى بعضها بوضوح فى المعركة فإن استخدام الأعلام والاشارات يصبح أمراً ضرورياً." عادة ما تستعمل الطبول والأجراس فى قتال الليل، والأعلام والاشارات نهاراً، وهذه الأدوات ضرورية لتوحيد حركة القوات، وحين تتحد القوات بهذه الطريقة لا يستطيع الشجاع أن يتقدم بمفردة، ولا الجبان أن يتراجع بمفرده، وهذا هو فن قيادة المجاميع.

ويجب اعطاء الحالة المزاجية وحالة الـروح المعنويـة الأولويـة عنـد وزن الأمور فى الحرب، فيمكن إحبـاط الـروح المعنويـة للجـيش كلـه، وسلب القائد حكمته وتعقله. فى بداية أى حملة تكـون الـروح المعنويـة للجند فى ذروتها، وبمرور الوقت تهبط الى أن تتضاءل وتصـل إلى أدنـى درجاتها، لذا فإن القائد الماهر يتجنب العدو حين تكون روحـه المعنويـة متحفزة، ثم يباغته بالهجوم حـين تهـبط روحـه المعنويـة. وحـين تكـون قواتك فى تنظيم صحيح وفى هدوء انتظر جيشاً غير منتظم، وهـذا هـو فن المحافظة على الثقة بالنفس، وحين يكون العدو آتياً من بعيـد اقـترب من ميدان المعركة. وحين تكون فى راحة انتظر عدوا منهكـاً، وبقواتـك التى تم تغذيتها جيداً انتظر قوات جائعة، وهذا هو عن العناية بالقوات. يجب أن تحجم عن اعتراض ومحاصرة العدو المنظم جيداً، وأن تكف عن الهجوم على الجيش ذى التكوينات المنظمة، وهذا هو فن تقدير الأحوال ووزن الأمور.

أخيراً فن توظيف الجند : فحين يحتل العدو أرضاً عالية لا تجـازف بالاشتباك معه، وحين تكون مؤخرة جيش العـدو مسـتقرة عنـد الـتلال داعمة المقدمة لا تقم بهجـوم أمـامى، ولا تهـاجم الجنـود ذوى الـروح المعنوية المتحمسة، ولا تبلـع الطعـم المقـدم لـك مـن العـدو، كـذلك لا تعترض عدواً يكون عائداً الى موطنه الأصلى وقريباً منه. وحين تحاصـر جيشاً دع مسافة حرة بينك وبينه فلا تضغط على الجيش اليائس تماماً.

الفصل السابع

تنـــوع التكتيكـــات

أثناء الحرب يحصل القائد العام للقوات على الأوامر من القائد الأعلى، ويعلن التعبئة، ويحرك الجيوش، ولا يتحرك بجيوشه إذا كانت الأرض وعرة لكنه يحاول الاتحاد مع الحلفاء إذا كانت الارض متشابكة مع الطرق العامة، ولا يتباطأ فى الاراضى الخطرة. إن كان فى أرض محاصرة يلجأ للخدع الحربية فهناك بعض الطرق التى لا يجب أن تسلكها، وبعض الجيوش التى لا يجب مهاجمتها، وبعد المدن التى لا يجب الاعتداء عليها، وبعض الاراضى التى لا يجب النزاع عليها لعدم صلاحيتها، وبعض الأوامر من القيادة العليا التى لا يجب تنفيذها، ومن ثم فإن القائد الذى يفهم مزايا تنوع الأساليب والخدع الحربية جيداً يعرف كيف يوظف جنده. أما القائد الذى لا يعرف تلك المزايا لا يكون قادراً على الاستفادة من طبيعة الأرض لصالحه بالرغم من معرفته الجيدة بها وسيعجز عن توظيف جنده فى الهجوم بكفاءة. لاذ فإن القائد المحنك ذا التفكير المدروس لابد ان يأخذ فى الاعتبار العوامل المناسبة وغير المناسبة عند الهجوم .

إن ما يقهر قادة الأعداء فى المناطق المجاورة هو ان تضربهم بقوة فى مناطق ضعفهم، وإذا أردت أن تشغلهم بصورة دائمة فلابد أن تزعجهم دائماً، وتجعلهم يندفعون بفعل بعض الإغراءات الوهمية التى تخدعهم، ومن مبادىء الحرب عدم الاعتماد على احتمالات عدم مجئ العدو، والاعتماد على الاستعداد الدائم لمقبلته ؛ حيث يكون الاعتماد

لا على فرص عدم هجومه بل على قوتنا العسكرية التى لا تقهر.

وهناك خمسة أخطاء رئيسية يمكن أن تؤثر فى القائد وهى :

- إذا كان القائد متهوراً يمكن قتله.

- وإن كان جباناً يمكن أسره.

- وإن كان حاد المزاج يمكن أن يستثار غضباً ويخطىء.

- وإن كان مرهفاً ذا احساس متضخم بالذات والكرامة، يمكن استفزازه بالإهانة.

- وإن كان ذا طبيعة رحيمة فقد يضطرب ويتضايق.

هذه خمسة أخطاء للقائد يمكن أن تهدمه وتجعله يتراجع ولا يواصل الحرب. إن دمار الجيش وموت القائد هى النتائج الحتمية لهذه الأخطاء الخطرة، ويجب أن تتم دراستها بتأن وعمق.

الفصل الثامن

الـزحـف

حين يأخذ الجيش موقعه ويواجـه العـدو لابـّد أن يهـتم بـالأمور الآتية: عند عبور الجبال لابد من البقاء فى الأودية المجاورة، وعند إقامـة المعسكرات يجب اختيار الأرض المرتفعة المواجهه للشمس، وحين يقـوم العدو باحتلال الجهة المرتفعة فلا تصعد لمهاجمته. فكر كثيراً قبل أ، تأخذ موقعاً فى الجبال.

بعد عبور نهر يجب البقاء بعيداً عنه، وعندما يعبر الغازى المتقدم لا تقابله فى وسط المـاء، مـن الأفضـل أن تسـمح لنصـف قواتـه بـالعبور وحينئذ تضربه. عند عبور المستنقعات المالحة يجب أن تمـر عليهـا بسـرعة دون أى تأخير، فإذا ما وجـدت العـدو بمسـتنقع مـالح فلابـد أن تأخـذ موقعاً قريباً من الخضرة والماء، مع وجود أشجار خلف مـؤخرة الجيش ليسهل عليك التراجع.

على الأرض المستوية خذ موقعاً يمكن الوصول إليه وانشـر الجنـد واجعل أجنحة الجيش الرئيسية فى اماكن مرتفعة، على أن تكون المقدمة فى موقع أقل ارتفاعاً وهذه هـى الطريقـة لاحـتلال موقـع علـى أرض مستوية.

كانت هذه هى مجموعة المبادئ لإقامة المخيمات فى المواقع الأربعة المسماه، وبتوظيـف هذه المبادئ غزا الأمبراطور الصينى جيرانـه الأربعـة الأقوياء. وبصفة عامة فإن من أسس الحرب والمناورة أن تفضل الجيوش

الأرض المرتفعة والأماكن المشمسة، فإن أقام جيش معسكراً قريباً من الماء والخضرة مع وجود امدادات كافية سيقى نفسه من أمراض لا حصر لها، وهكذا يسجل النصر، وحين تقترب من تلال أو خنادق أو أرصفة نهرية احتل المكان المشمس منها، مع وضع الجناح الرئيسى فى المؤخرة، فيستفيد الجيش من كل هذه المزايا ومن موارد الأرض المتاحة له ،وحين تسقط الأمطار الغزيرة ويزداد ارتفاع منسوب النهر لا تعبره حتى يخف، وإذا وجدت السيول المندفعة والآبار والشقوق والشباك والفخاخ يجب أن تزحف بعيداً عنها ولا تقترب منها. وبينما تبتعد عنها لابد أن تجذب العدو نحوها.

قد توجد فى المناطق المجاورة لموقعك ممرات خطرة وبحيرات وأراض منخفضة مغطاة بالنباتات المائية. وقد توجد أدغال وجبال وغابات ومنخفضات كثيفة لابد من تفتيشها بدقة، لأنه قد يوجد بها كمائن وجواسيس. حين يكون العدو قريباً وهادئاً فإنه يعتمد على الموقع المناسب، وحين يكون بعيداً ويتحداك، فإنه يحاول إغراءك، وحين ترى الأشجار تتحرك فذلك يعنى أن العدو يتقدم، وعند وضع حواجز عديدة فى الأشجار يكون بهدف الخدعة. عند تحليق الطيور وابتعادها عن الأشجار فإن ذلك يدل على وجود كمين، وإذا جفلت الحيوانات فذلك يدل على هجوم وشيك مفاجئ، أما تطاير الرمال الى أعلى ذلك يدل على اقتراب العربات العسكرية ؛ إذ أنها تثير الغبار الذى يبدو للعين متصاعداً فى صورة أعمدة، وحين تتفرق الرمال فى اتجاهات مختلفة فذلك يعنى أنه تم ارسال مجموعات بهدف جمع الحطب للتدفئة، أما وجود بعض الأتربة الخفيفة ذهاباً وإياباً فذلك يعنى أن الجيش يقيم معسكراً للبقاء.

حين يتحدث المبعوث الدبلوماسي للعدو بصوت يدل على الذل والاستكانة بينما الجيش مستمر في الإعداد والترتيب ؛ فذلك يعني أنه ينوي الهجوم. وحين تكون لغة العدو قوية وهو يتظاهر بالتقدم الى الأمام فقد يكون ذلك دلالة على تراجعه، وإذا تحركت العربات الخفيفة أولاً وأخذت مواقعها على الأجنحة فذلك يدل على أن العدو يعد للمعركة ويجهز لها، وعندما لا يكون العدو في ممرات ضيقة ويطلب الهدنة فذلك يعني أنه يدبر مكيدة. وحين تسير جيوشه في ثبات ويستعرض اسلحته في تشكيلات فمن المتوقع أنه سيخوض معركة فاصلة في توقيت محدد، بينما أن تقدم نصف قواته وتراجع النصف الأخر فإنه يحاول أن يخدعك من خلال مناوراته ومراوغته. وعندما يتكئ الجند على اسلحتهم فذلك يعني أنهم قد جاعوا، وعندما يشرب حاملو الماء قبل نقله الى المعسكر فذلك يعني أن قواته تعاني من العطش، وحين يرى العدو فرصة ولا يتقدم ليقتنصها فتأكد أنه متعب. وحين تتجمع الطيور في اعلى جوانب المعسكر فذلك يدل على أن هذه الجوانب غير مشغولة، وحين يأتي الليل ومعسكر العدو صاخب فذلك يدل على العصبية، وإن كانت هناك فوضى وارتباك في المعسكر فإن سلطة القائد تكون ضعيفة. وإذا ما تغيرت الرايات والأعلام فإن التحريض على العصيان يكون جارياً، وحين يغذى العدو خيوله بالحبوب، ويقتل الحيوانات التي تحمل الامتعة بسبب الطعام، ويجمع الاوعية التي تستعمل في حمل الماء ؛ فذلك يعني أنه ليست لديه النية للعودة إلى خيامة، وهو مصمم على الحرب حتى الموت. وحين يتكلم القائد بغنمه فيها ضعف وخنوع لتابعيه فإنه يكون قد فقد دعم رجاله، والمكافآت المتعاقبة توضح أن القائد قد فقد وسائله في تحفيز الجند،

والعقاب الكثير المتتابع يوضح أنه فى حالـة سيئة، وإن عامـل الضـباط الجنود فى البداية بعنف، وبعد ذلك عاملوهم بلين فذلك يدل على عدم ذكاء مطلق. وحيث يتم ايفاد المبعوثين والمديح على ألسنتهم فذلك يعنى أن العدو يرغب فى الهدنه. وإذا زحفت قوات العدة بقـوة دون أن تبـدأ القتال ولا تزيد فإن ذلك الموقف يتطلب يقظة وتحرياً كاملين .

وفى الحروب ليست الميزة فى العدد فقط، فلابـد للقائـد أن يركـز قوته العسكرية من خلال تقييم صحيح لموقف العدو، وأن يكـون واثقـاً من رجاله. لكن القائد الذى يفتقد الحكمة والبصـيرة ويسـتخف بعـدوه فمن المؤكد أن يتم أسره، وإن تمت معاقبة القـوات قبـل تعـودهم علـى نظام القائد فلن يحظى القائد بطاعتهم له، ومن ثم سيصبح من الصـعب توظيفهما، وإن تعدوت القـوات علـى نظـام القائـد دون وجـود الحـزم والقوة فلن يستطيع توظيفها أيضاً، وهكذا يجب أن تعامل الجند معاملـة إنسانية تحت قبضة حديدية فى ذات الوقت. بهذه الطريقـة تضـمن ولاء الجند، فإن نفذت الأوامر بدقة تحت قيادة صارمة تضمن الـولاء، وإذا لم تنفذ الأوامر فسـيتحولون الى عصـاة متمـردين ؛ إذ أن التنفيـذ التلقـائى يعكس العلاقة المتبادلة المتجانسة بين القائد وقواته .

الفصل التاسع

التضاريس

تنقسم طبقاً لطبيعتها إلى أرض ممهدة أو معقدة خداعية، أو رمالها متحركة أو ضيقة وشديدة الانحدار، أو بعيدة فالأرض التي تكون سهلة الاجتياز لك وللعدو بسهولة متساوية تسمى أرضًا معبدة. فى مثل هذه الأرض نجد القائد الذي يحتل مواقع عالية مشمسة ويسيطر على طرق الإمداد يقاتل وهو في وضع متميز. والأرض التي يسهل الوصول إليها لكن يصعب الخروج منها تسمى أرضا معقدة خداعية، فإن كانت طبيعة الأرض كذلك ولم يقم العدو بإعداد قواته وتجهيزها جيدًا وقمت بالانقضاض عليه فسيهزم، أما إذا كان العدو منظمًا وجاهزًا للقائك فستفشل في هزيمته، وهنا يكون الرجوع صعبًا وتنشأ المشكلات. أما الأرض المرهقة والصعبة لكلا الجيشين فهي الأرض ذات الرمال المتحركة، فإن كانت طبيعة الأرض كذلك وقدم لك العدو طعمًا يجذبك فسيكون من الحكمة أن تنسحب وتنتظر حتى تصل قواته إلى منتصف الطريق بفعل مناورتك له، وعند ذلك تضربه وأنت فى موقع أفضل، وفيما يختص بالأرض الضيقة بعد السيطرة عليها وإغلاق الممرات الضيقة بواسطة حاميات عسكرية قوية، انتظر مجيئه، أما إذا سبقك العدو في السيطرة عليها فيجب ألا تهاجمه، وإن كان الممر فى قبضته فهو فى حماية عسكرية قوية، فلا تهاجم إلا إذا كانت القوة العسكرية ضعيفة.

أخيرًا الأرض شديدة الانحدار، فإذا حدث وسبقت إلى احتلالها فلابد أن تأخذ موقعا فى المرتفعات المشمسة، وتنتظر العدو، أما إذا

سيطر هو عليها أولا فيجب أن تنسحب ولا تهاجم، وحين يصبح العدو في موقعه على مسافة بعيدة منك، ويكون انتشار جنود الجيش متماثلا فى أرض واحدة فإنه من الصعب أن تبدأ المعركة، وليس من الحكمة أن تناوشه. هذه هي القواعد المرتبطة بالأنواع الستة لتضاريس الأرض. وهي مسئولية عظيمة على القائد أن يلم بها.

وهناك ستة مواقف تتسبب في هزيمة الجيش أو فشله وهي: الفرار، والعصيان، والسقوط، والانهيار، والفوضى، والهزيمة. ولا ترتبط واحدة من هذه الكوارث بالأسباب الطبيعية والجغرافية وإنما هي خطأ القائد، فلو أنك هاجمت قوة حجمها عشرة أمثال قوتك ستكون النتيجة الهروب والفرار، وحين يكون الجنود أقوياء والضباط فى ذروة الشجاعة والبسالة ولكن الجنود تنقصهم الكفاءة والمقدرة فسيسقط الجيش. وإذا سادت حالة من الغضب والتمرد بين ضباط القيادة العليا، وسرى هذا الشعور بالاستياء والغيظ عند القتال فلن يلتفت القائد إلى قدرات العدو، والنتيجة ستكون الانهيار. وعند لقاء العدو المندفع إلى المعركة إن كان القائد على درجة ضعيفة من الكفاءة وسلطته قليلة ولم يقم بتنظيم وإدارة قواته جيدًا، وكانت العلاقة بين ضباطه وجنوده متوترة، وكانت تشكيلات القوات مهملة؛ فالنتيجة الحتمية لهذا الوضع هي الفوضى. وحين يكون القائد عاجزًا عن تقدير قوة العدو، أى أنه يستعمل قوة صغيرة لمناوشة قوة أكبر أو قوات ضعيفة لضرب قوات أقوى، أو يفشل في اختيار القوات المكونة لطليعة الجيش تكون الهزيمة. إن حدث واحد من هذه المواقف الستة يكون الجيش في طريقه إلى الهزيمة، وهنا تقع مسئولية القائد العظمى عن فحص هذه العوامل باهتمام بالغ.

ويعتبر التكيف مع ظروف الأرض وتكويناتها ذا أهمية كبرى في

العمليات العسكرية، ومن الضروري للقائد المحنك أن يقوم بتقدير صحيح لموقف العدو حتى يخلق الظروف الملائمة المؤدية إلى النصر، وأن يحسب المسافات ودرجات صعوبة التضاريس، والذي يعي هذه الأمور ويطبقها في ميدان القتال وسيكون النصر حليفه. أما القائد الذي يجهلها ويعجز عن تطبيقها فسوف يخسر بلا شك، لذلك إن كان التوقيت والموقف مناسبين للقتال قاتل، وإن لم تأخذ أمرًا بذلك، أما إن كان القتال لن يضمن لك الفوز والنصر فلا تحارب، وإن أمرتك بذلك القيادة. ومن ثم فإن القائد الذي يتقدم دون اشتهاء الشهرة، ويتراجع دون خوف من الخزي أو العار، وتكون حماية شعبه هي هدفه الرئيسي، وكذلك المحافظة على مصلحة القيادة هو بحق جوهرة ثمينة لدولته.

وإذا ما اعتنى القائد برجاله كاعتنائه بأبنائه فسيزحفون من أعمق الوديان، فالأبناء الأحباء سيساندون قائدهم حتى الموت، فإن كان القائد متساهلا مع رجاله يدللهم فلن يستطيع أن يوظفهم أو يأمرهم أو يعاقبهم حين ينتهكون النظام، عندئذ يكونون كالأطفال المدللين الذين لا يصلحون لأي هدف عملي، لذا لا ترجى منهم فائدة.

وإذا ما عرفت أن قواتك قادرة على ضرب العدو، ولم تعرف أن حصن العدو منيع؛ فإن فرصتك في النصر ستتضاءل أيضًا إلى النصف. أما إذا تأكدت من إمكانية الهجوم على العدو وقوة جيشك ولم تدرك طبيعة الأرض وتكوينها فإنك تجعل القتال غير عملي ومتعذر التنفيذ فلن تتعدى فرصتك في النصر النصف أيضًا. عند تحرك الخبراء في الحرب تجدهم غير مرتبكين، وحين يقاتلون لا يخسرون هكذا يصح القول: "اعرف عدوك واعرف نفسك تضمن النصر". اعرف المناخ وطبيعة الأرض وعندئذ يكون النصر كاملاً".

الفصل العاشر

أنـــواع الأرض التسعـــة

قال سون تسي: إن أهمية توظيف القوات ترتبط بنوع الأرض التي تنقسم إلى الأنواع الآتية: الأرض الممهدة والأرض المتاخمة، والأرض المكشوفة، والرئيسية، والأرض الصعبة، والمحاصرة، والأرض الميئوس منها كذلك الأرض الخطرة. حين يقاتل قائد مجموعة على أرضه فهو يقاتل على أرض ممهدة، وحين يخترق القائد منطقة العدو بمسافة غير بعيدة عن أرضه فهو في أرض متاخمة، والأرض المتساوية المزايا لك وللعدو هي الأرض المؤدية إلى الطريق الرئيسية. والأرض التي يمكن الوصول إليها منك أو من العدو تسمى الأرض المكشوفة، والأرض التي تحدها ثلاث دول هي الأرض الرئيسية، من يضمن التحكم فيها أولا سيكسب دعم معظم الدول المجاورة وتأييدها. وإذا اخترق الجيش منطقة العدو وتعمق تاركا وراءه كثيرًا من مدن العدو ومراكزه فهو في أرض خطرة. أما الأرض التي تتخللها الغابات الجبلية والمستنقعات الوعرة والممرات فهي الأرض الصعبة؛ حيث يصعب الوصول إليها. والأرض التي يتم الوصول إليها وتكون ضيقة ولا تستطيع الانسحاب منها إلا من خلال ممرات ملتوية، ويستطيع فيها عدو قليل العدد أن يحطم النصيب الأكبر من قواتك هي الأرض المحاصرة، والأرض التي يستطيع فيها الجيش أن يتجنب الإبادة من خلال حرب يائسة مستميتة مستمرة تسمى الأرض الميئوس منها. لذلك لا تحارب في أرض ممهدة؛ ولا تقف حدود أرض متاخمة، ولا تهجم على عدو يسيطر على أرض

مفتوحة، ولابد من مراعاة عدم إعاقة وسائل الاتصال في الأرض المكشوفة، وفي الأرض الرئيسية حاول أن تكون أحلافًا، وأن تعقد اتفاقيات مع الدول المجاورة لك. فى الأرض الخطرة حاول جمع الغنائم وتحقيق النصر، وفى الأرض الصعبة اضغط بشدة، وفى الأرض المحاصرة الجأ إلى الخطط الاستراتيجية، وفي الأرض الميئوس منها حارب بشجاعة واستبسال.

عرف الماهرون في الحرب في الأزمنة الغابرة كيف يعملون على استحالة اتحاد طليعة الجيش مع مؤخرته، واستحالة التشكيل الكبير مع التشكيل الصغير، ومنع الاتصال بين الضباط والجنود، وحين تكون قوات العدو مشتتة فإنهم يمنعون تجمعها وحتى إن تجمعت فإنهم ينجحون فى جعلها فى حالة فوضى، إنهم يتقدمون إلى الأمام حينا تحين الفرصة، ولعل هنا من يتساءل: كيف تتغلب على الجيش الغازي المنظم تنظيمًا جيدًا، وهو على وشك الهجوم؟ والإجابة هي: سيطر على شيء ما يتعلق العدو به وسيعمل وفق إرادتك. السرعة هي أساس الحرب. انتهز فرصة عدم استعداد العدو وشق طريقك في مسارات غير متوقعة، وهاجم فى المواقع التي ليس لديه بها احتياطي. القواعد العامة التي يمكن للقوات الغازية تطبيقها هي كلما كان اختراقك أكثر تعمقًا في منطقة العدو زاد ذلك من تماسك قواتك؛ لذا لن يستطيع المدافعون التغلب عليك. اغز البلد المثمر لتمد جيشك بما يحتاج إليه من طعام كاف، اهتم بجنودك ليكونوا في أحسن حال ولا ترهقهم، حاول أن ترفع من روحهم المعنوية وحافظ على طاقتهم، تقدم بجيشك ودبر الخطط الخداعية التي يتعذر على العدو فهمها، ضع جنودك في موقف لا مفر منه وسيختارون الموت على الفرار، فإذا ما أعد الضباط والجند أنفسهم فسيبذلون ما في

وسعهم للنجاة، فهي مسألة حياة أو موت، وستجدهم يدا واحدة، سيطيعون الأوامر دون شرط، يمكنك الثقة بهم، امنع عنهم الخرافات والإشاعات فلن يهرب أحد عند مواجهة الموت. في اليوم الذي يتقرر فيه القتال ينتحب الرجال ويجهزون أكفانهم وتنهمر دموعهم، لكن عند وضعهم فى موقف حياة أو موت من سيأتون ضروب الشجاعة الخالدة.

القاعدة الذهبية عند استخدام الأراضي هي الاستفادة من هضابها ووديانها، كذلك القائد الماهر في قيادته لجيشه وكأنه يقود رجلا واحدا بحزم. ومن طبيعة عمل القائد أيضًا أن يكون هادئًا، مترويًا ومتأنيًا، وأن يكون مستقيمًا.

الفصل الحادي عشر

الهجوم بالنار

قال سون تسي: "هناك خمس طرق للهجوم بالنار :

أولاً : أن تحرق الجنود فى معسكراتهم.

ثانيًا : أن تحرق المؤن والمخازن.

ثالثًا : أن تحرق قوافل المؤن.

رابعًا : أن تحرق مستودعات الأسلحة والذخائر.

خامسًا : حرق خطوط الإمدادات والاتصال.

فى حالة الهجوم بالنار لابد من توافر بعض الظروف الملائمة والمواد اللازمة لإطلاق النار، والتي يجب أن تكون فى متناول الأيدي، وهناك بعض الفصول المناسبة للهجوم بالنار وأيام خاصة لإشعال الحريق، وأفضل الفصول لإطلاق النار هي الفصول الجافة غير الممطرة، وأفضل الأيام هي التي ليس فيها رياح، كذلك الأيام القمرية، حيث تتاح لك رؤية الحوائك والأشياء على ضوء القمر.

وفي حالة الهجوم بالنار يجب أن تتكيف مع خمسة مواقف متغيرة يمكن حدوثها: عند اندلاع النيران فى معسكر العدو يجب أن تنسق الهجوم في الوقت نفسه، أما إذا اندلعت النيران واحتفظ جنود العدو بهدوئهم فانتظر ولا تهاجم، وحين تتصاعد ألسنة اللهب اهجم إن أتيحت لك الفرصة، فليس ضروريًا أن تنتظر إشعال النيران في الداخل

حتى تطلق النيران من الخارج، ابدأ إن كان بإمكانك. وحين تهب الرياح بصفة مستمرة طوال اليوم قد تخمد في الليل؛ لذلك من الأفضل أن تقوم بالهجوم ليلاً، إذن لابد للجيش أن يعرف المواقف الخمسة المتغيرة عند إطلاق النار واختيار أفضلها.

إن الذي يستعمل النيران فى هجماته يستطيع أن يحرز نتائج ملموسة، والذي يستعمل الإغراق بالمياه يكون هجومه أكثر قوة. فالماء يستطيع أن يحاصر ويعزل العدو. إن فوزك بالمعارك واحتلالك الأراضي والمدن شيء جيد، لكن فشلك في دعم هذه الانتصارات وتعزيزها لا يعتبر فألا حسنًا، بل هو ضياع للموارد والوقت، لذا فإن القائد المستنير لابد أن يدرس الخطط قبل أن يذهب إلى المعركة. القائد الكفء لا يشعل نيران معركة لمجرد غضبه، كذلك لا ينشب حربًا لمجرد استيائه، اهجم فقط إن كان ذلك لصالحك. القائد الغاضب يمكن أن يصبح سعيدا مرة أخرى، والمتعض يمكن أن ينتعش، أما الدولة إن هزمت فيمكن أن تزول. لذا – فيما يتعلق بموضوع الحرب – فإن الحاكم المستنير والقائد الكفء يتصف بالحيطة والحذر وتبقى دولته في أمان ويبقى الجيش مصونًا ومحميًا.

الفصل الثاني عشر

توظيـــف الجواسيـــس

قال سون تسي: "حين يقوم جيش قوامه مائة ألف جندي ويرسل إلى حرب بعيدة؛ فإن قيمة الإنفاق تقدر بحوالي ألف قطعة من الذهب في اليوم الواحد؛ لذا سيكون هناك اضطراب مستمر سواء فى الوطن أو الخارج، وتشمل النفقات مصروفات القوة العسكرية المرافقة للسفن وخدمات الانتقال، بالإضافة إلى حوالي سبعمائة ألف أسرة ستكون غير قادرة على مواصلة عملها الزراعي. وقد تستمر الحروب سنوات طويلة وتكافح الجيوش من أجل إحراز النصر في معركة حاسمة، ولو ضن القائد بالإنفاق فى حدود مائة قطعة من الذهب على الرواتب، وظل جاهلاً بموقف العدو، فهو قائد متجرد من الإنسانية، مثل هذا الرجل لا يصلح أن يكون قائد للقوات ولا يستطيع أن يساعد قيادته العليا على إحراز النصر.

السبب في غزو القيادة العليا المستنيرة أو القائد الحكيم للعدو، والسبب في أن إنجازاته تتفوق على الرجال العاديين هو قدرته على المعرفة في وقت مبكر، وهذه المعرفة لا تتأتى من الخيالات والأحلام، ولا من أخذ العبرة من أحداث الماضى، ولا من أية حسابات استنتاجية، بل تتأتى من المعرفة بأحوال العدو.

تتم تلك المعرفة عن طريق الجواسيس، وهم خمسة أنواع:

جواسيس الوطن، والجواسيس الداخلية، والجواسيس المجندة التي

تعمل لحساب الجيش بعد أن كانت تعمل مع الخصم، والجواسيس المضللة، والجواسيس الناجية.

جواسيس الوطن هم الذين يجندون من أبناء وطن العدو. والجواسيس الداخلية هم ضباط جيس العدو. والجواسيس المجندة هم الذين يجندهم الجيش بعد أن كانوا جواسيسًا للعدو، والجواسيس المضللة هم الذين يعطيهم الجيش معلومات خاطئة ليبلغوها للعدو. والجواسيس الناجية هم الجواسيس الذين يبقون على قيد الحياة بعد فرارها من أيدي العدو. كل هؤلاء في الجيش هم أقرب شيء إلى القائد، فلا يوجد ما هو ضروري وأساسي أكثر من الجواسيس، وهم يحصلون على أعلى المكافآت فلا توجد سرية أكثر من سرية عملياتهم.

القائد غير الحكيم هو من لا يستطيع تجنيد الجواسيس، وإن لم يكن إنسانًا كريمًا فلن يستطيع أن يجندهم، كذلك القائد الذي لا يتحلى بالحذر والذكاء الكافي لن يستطيع الحصول على الحقائق منهم. ولا يوجد مكان بدون عمليات جاسوسية، لكن إن تفشت أسرار تلك العمليات فسيموت الجاسوس وكل من تربطه علاقة به.

وسواء كنت تهاجم جيشًا أو مدنًا؛ فمن المهم أن تعرف أسماء القادة العسكريين، والضباط المعاونين، والحراس، والمرشدين. وضروري أن تبحث عن الجواسيس الذين يديرون عمليات التجسس لحساب العدو، وأن تجزل لهم العطاء ليتجسسوا لصالحك. ثم إحساسهم بالثقة وأخبرهم بما تريد واطلقهم إلى بلادهم، هكذا يجند الجواسيس، ومن خلال المعلومات التي يقدمها الجواسيس المجندة لحسابك تستطيع توظيف جواسيس الوطن والجواسيس الداخلية في جيش العدو، وبناء على معلومات هؤلاء الجواسيس الداخلية يمكن تزويد الجواسيس المضللة التي

تزود العدو بالمعلومات الخاطئة، وأخيرًا عن طريق معلومات الجواسيس المضللة تستطيع استخدام الجواسيس الناجية، بأن تعود مرة أخرى وتعطي معلوماتها كبيان وجدول عملي. فلابد للقيادة العليا أن تتسلح بالمعرفة الكاملة لمهام الأنواع الخمسة من الجواسيس، وأن تعرف أنها تعتمد على الجواسيس المجندة. لذا يجب أن يعاملوا بقدر كبير من السخاء. لذلك فإن القيادة العليا المستنيرة فقط والقائد الحكيم هما القادران على توظسف أكثر الناس ذكاء مثل الجواسيس وتحقيق نتائج عظيمة، فالعمليات الجاسوسية ضرورة من ضرورات الحرب يعتمد عليها فى كل تحركاته.

الفهرس

المترجم

ربيـــع مفتــاح

الاسم كاملاً: ربيع مفتاح محمود حسين

مكان الميلاد: مصر – الفيوم

تاريخ الميلاد: ٢٦ أيلول – سبتمبر ١٩٥٤

الهوية الأدبية: ناقد ومترجم

العضويات:

- عضو اتحاد الكتاب – عضو لجنة النقد الأدبي باتحاد كتاب مصر
- عضو مجلس إدارة نادي القصة – أمين الصندوق عضـــو أتيليـــه القاهرة (جمعية الكتاب والفنانين)
- عضو لجنة تحكيم في الجامعات المصرية (المسابقات الأدبية)
- عضو في الجمعية الدولية للمترجمين العرب
- رئيس نادي الأدب المركزي بالجيزة
- أمين عام المؤتمر الأول لأدباء الجيزة عام ١٩٩٨
- عضو الأمانة العامة لأدباء مصر
- أشرف على تحرير مجلة الكرمة
- عضو مجلس تحرير مجلة القصة
- عضو جمعية أنصار التمثيل والسينما
- عضو بنقابات التجاريين والمعلمين والمترجمين
- مراسل مجلة الصين اليوم في مصر
- كاتب معتمد بالإذاعة والتليفزيون
- رئيس مجلس إدارة جمعية قراءة للنقد والترجمة

الإصدارات:

- فن الحرب – ترجمة – دار شعاع للنشر ١٩٩٥
- حكايات عن غاندي – ترجمة – مركز الحضارة العربية ١٩٩٧
- محطات أدبية – مقالات أدبية – مكتبة الآداب ١٩٩٨
- من الأدب الصيني الحديث – هيئة قصور الثقافة ١٩٩٨
- الرجل الأخير في الوادي – رواية خيال علمي مترجمة – دار الهلال ١٩٩٩
- سقوط الأباطرة – مسرحيات قصيرة مترجمة – مكتبة الآداب ١٩٩٩
- زوايا الرؤية – دراسات في القصة القصيرة – نشر إقليمي ٢٠٠٠
- قدم له المسرح القومي مسرحية العنكبوت (ترجمة) عام ٢٠٠٢
- لغة الدراما – ترجمة – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٥
- مخالب حريرية – قراءات في القصة العربية النسائية – قراءة للنشر والترجمة ٢٠٠٦

تحت الطبع:

- الرواية الإنجليزية النسائية المعاصرة – المجلس الأعلى للثقافة.
- فن كتابة رواية الخيال العلمي – ترجمة – المجلس الأعلى للثقافة.

الجوائز والتكريم:

- شهادة تقدير – منتدى المثقف العربي ٢٠٠١
- درع الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢
- درع محافظة الجيزة ٢٠٠٢

- درع وزارة الثقافة في النقد والترجمة – من المكرمين في مؤتمر أدباء مصر عام ٢٠٠٤
- شهادة تقدير من الأمانة العامة لأدباء مصر لدوره المتميز في معظم المؤتمرات
- تكريم الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب يناير ٢٠٠٧

للتواصل:

- موبايل: ٠١٢٢٧٤٦٣٧٧
- بريد الكتروني: rabmof@hotmail.com



الكتاب الذي حمل كل جندي أمريكي نسخة منه أثناء عاصفة الصحراء في حرب الخليج

فن الحرب

الكتاب الأساسي في الاستراتيجية العسكرية؛ الذي كُتِبَ قبل أكثر من ٢٥٠٠ عام ، ومازال موضع الاهتمام والتطبيق من قِبَل السياسيين ورجال الأعمال في مختلف أنحاء العالم.

يعد سون تسي فيلسوف الاستراتيجية الصيني، وقد ترجم الكتاب إلى أغلب لغات العالم الحية ليصبح واحدًا من أكثر الكتب استخدامًا وفائدة في تاريخ البشرية.

تظاهر بالضعف لتغرق الأعداء في خضم الثقة الزائدة. هذه النصيحة التقليدية يحذر منها تسي بشدة. لكنه ينصح ب: عندما تهاجم هدفًا قريبًا تظاهر بأنك تهاجم هدفًا بعيدًا، وعندما تهاجم هدفًا بعيدًا تظاهر وكأنك تهاجم هدفًا قريبًا. أليس هذا مافعله الأمريكيون في حرب الخليج؟! وأليس هذا مايفعله رجال الأعمال الأذكياء.



